تجلِّياتُ السِّياقِ في شِعرِ مُصطفَى جَمال الدِّين. دراسةٌ تحليليَّة

أ.م.د. إيمان عبد الحسن علي
جامعةُ بابل / كليَّةُ العلومِ الإسلاميَّة

البريد الإلكتروني Email : qur.eman.abdul@uobabylon.edu.iq

الكلمات المفتاحية: مصطفى جمال الدين، التَّجلياتُ، السِّياقُ اللغوي، السِّياق الثقافي، الشِّعرُ العراقي المعاصر، التجربةُ الشعريَّة .

كيفية اقتباس البحث
علي، إيمان عبد الحسن ، تجلِّياتُ السِّياقِ في شِعرِ مُصطفَى جَمال الدِّين. دراسةٌ تحليليَّة،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، أيلول ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٩ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Contextual Manifestations in the Poetry of Mustafa Jamal al-Din An Analytical Study

Dr. Iman Abdul-Hassan Ali
University of Babylon / College of Islamic Sciences

Keywords : Mustafa Jamal al-Din, Manifestations, linguistic context, cultural context, contemporary Iraqi poetry, poetic experience.

How To Cite This Article
Ali, Iman Abdul-Hassan, Contextual Manifestations in the Poetry of Mustafa Jamal al-Din An Analytical Study ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, September 2026,Volume:16,Issue 9.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

The research examines the impact of context on the formation of poetic meaning and its manifestations in the work of the contemporary Iraqi poet Mustafa Jamal al-Din. The linguistic context is insufficient to reach the meaning, but rather linguistic, social, religious, cultural, and historical circumstances intertwine in shaping the structure of his poetic text. The internal linguistic structure interacts with the external structure of the poetic text to contribute to the reproduction of reality through a space in which the intellectual vision of the poetic self is intertwined with the external framework in which the text is produced.

The nature of the research required dividing it into an introduction, two sections, and a conclusion with the most important results I reached. In the first section, I dealt with the theoretical and conceptual framework of the research, which included a summary of the poet's life, the definition of manifestations and context, and the second section was devoted to the applied study of the types of context and their manifestations in the poetry of Mustafa Jamal al-Din. In this study, I relied on the descriptive and analytical approaches, in light of the

selection of poem models and their analysis to reveal the types of context and their manifestations in the poetry of Mustafa Jamal al-Din. This approach is clearly embodied in the applied study, where social, religious and cultural contexts were analyzed as active elements in the production of meaning, which contributes to creating a multi-dimensional poetic text that reflects the concerns of the individual and society.

ملخصُ باللغةِ العربيَّة:

يتناولُ هذا البحثُ أثرَ السِّياق في تشكيلِ المعنى الشِّعريّ وتجلياته عند الشَّاعر العراقيّ المعاصر مصطفى جمال الدِّين، فالسِّياقُ اللغويّ غير كافٍ في الوصول إلى المعنى، وإنَّما تتداخل الظروف اللغويَّة والاجتماعيَّة والدينيَّة والثقافيَّة والتَّاريخيَّة في تشكيل بناء نصِّه الشِّعريّ، إذ تتفاعلُ البنيةُ اللغويَّةُ الدَّاخليَّة مع البنية الخارجيَّة للنَّصِّ الشَّعري لتُسهم في إعادة إنتاج الواقع عبر فضاءٍ تتشابكُ فيه الرُّؤيةُ الفكريَّةُ للذَّات الشَّاعرة مع الإطارِ الخارجيّ الذي يُنتجُ فيه النَّصُّ.

وقد اقتضت طبيعةُ البحث تقسيمه على مقدمة ومطلبين وخاتمة بأهم النتائج التي توصَّلتُ إليها، تناولتُ في المطلب الأول: الإطار النَّظريّ المفاهيميّ للبحث، فضمَّ نبذة عن حياة الشَّاعر وتعريف التَّجلِّيات والسِّياق، والمطلب الثَّاني خصصته للدِّراسة التطبيقيَّة لأنواع السِّياق وتجلِّياته في شعر مصطفى جمال الدِّين.

واعتمدتُ في دراستي هذه على المنهجين الوصفيّ والتَّحليليّ، وذلك في ضوء انتقاء نماذج القصائد وتحليلها للكشف عن أنواع السِّياق وتجلياته في شعر مصطفى جمال الدِّين ويتجسَّد هذا المنهج بوضوح في الدراسة التَّطبيقيَّة، حيث تمَّ تحليل السِّياقات الاجتماعيَّة والدِّينيَّة والثَّقافيَّة بوصفها عناصر فاعلة في إنتاج المعنى، مما يُسهم في خلق نصٍّ شعريٍّ متعدِّد الأبعاد يعكس هموم الفرد والمجتمع .

المقدمة

تُعدُ دراسةُ السِّياق من المرتكزات النَّقديَّة الحديثة التي أسهمت في إعادة قراءة النَّصِّ الشِّعريّ بوصفه بنيةً دلاليَّةً متشابكة لا تُفهم بمعزل عن محيطها الخارجيّ الثقافيّ والاجتماعيّ والنَّفسيّ، فلم يعد النَّصُّ كيانًا مغلقًا على ذاته، وإنَّما يمثلُ فضاءً تتفاعلُ فيه العلامات والرُّؤى ضمن شبكة من العلاقات السِّياقيَّة التي تمنحُ الخطابَ الشِّعري عمقَه التأويليّ وأبعادَه الجماليَّة، ومن هذا المنطلق يأتي شعرُ مصطفى جمال الدِّين بوصفه تجربةً شعريَّةً ثريَّةً تتقاطع فيها الأبعاد التُّراثيَّة والوجدانيَّة والفكريَّة مع الحسِّ الوطنيّ والإنسانيّ، الأمر الذي جعلَ نصوصه مجالاً خصبًا للدرس النَّقديِّ والتَّحليل السِّياقيّ فقد استطاع أن ينشئ عالمه الشِّعريّ الخاصّ عبر لغةٍ مشحونةٍ بالإيحاء قائمةٍ على التَّفاعل بين الذَّات والوقع وبين الذَّاكرة والتاريخ، وعليه.

مشكلةُ البحث وتساؤلاته: تتمحور مشكلة البحث في محاولة الكشف عن تجلّيات السِّياق بأنواعه المختلفة(الاجتماعي، الدِّيني، والثَّقافي) في شعر مصطفى جمال الدِّين، ومدى فاعليَّة هذه السِّياقات بوصفها عناصر رئيسة في إنتاج المعنى، ويسعى البحث للإجابة عن تساؤلين جوهريَّين الأول: كيف وظَّف الشَّاعر هذه السِّياقات في خلق نصٍّ شعريٍّ متعدِّد الأبعاد يستطيع من خلاله التَّعبير عن هموم الفرد والمجتمع في آنٍ واحد؟ والتَّساؤل الآخر: كيف أسهمت السِّياقاتُ المختلفة في تشكيلِ الدِّلالة الشِّعريَّة عند مصطفى الشَّاعر جمال الدِّين؟

أهميةُ البحث: تتجلَّى أهمية البحث في الكشفِ عن تجلِّياتِ السِّياق الشِّعري وأنماطه المختلفة وبيان أثرها في تشكيل الخطاب الشِّعريّ وتوجيه دلالاته الجماليَّة والفكريَّة، لهذا يهدفُ البحث إلى الكشف عن مفهوم السِّياق بوصفه أداةً تحليليَّةً في فهم النَّصِّ الشِّعريّ وتحديد دلالاته، وتحديد أنواع السِّياق المتجلِّي في شعر مصطفى جمال الدِّين، وتحليل أثر السِّياق في تشكيل الدِّلالة الشِّعريَّة داخل النُّصوص المختارة، ثم بيان دور السِّياق في توجيه الصُّورة الشِّعريَّة وبناءِ الإيحاء في الشِّعر.

منهج الدراسة: اعتمدتُ في دراستي هذه على المنهجين الوصفيّ والتحليليّ، وذلك في ضوء انتقاء نماذج شعريَّة من قصائد الشَّاعر ووصفها، ثمَّ تحليلها للكشف عن أنواع السِّياق وتجلياته في شعر مصطفى جمال الدِّين، ويتجسَّد هذا المنهج بوضوح في الدراسة التطبيقيَّة، حيث تمَّ تحليل السِّياقات الاجتماعيَّة والدِّينيَّة والثَّقافيَّة بوصفها عناصر فاعلة في إنتاج المعنى، مما يُسهم في خلق نصٍّ شعريٍّ متعدِّد الأبعاد يعكس هموم الفرد والمجتمع .

الدراسات السَّابقة: قد حظي شعر مصطفى جمال الدِّين باهتمام عدد كبير من الباحثين والدارسين، ومن أبرز الدِّراسات التي تتصل بموضوع البحث:

-الإشارات السِّيميائيَّة في الشِّعر الحسينيّ – شعر مصطفى جمال الدِّين أنموذجًا: شيماء عبد الحسين الحجامي، بحث منشور في مجلة لارك، جامعة واسط، مج ١٥، ع٣، ٢٠١٨م.

-بغداد في شعر مصطفى جمال الدِّين: محمد صبَّار خضير، بحث منشور في مجلة الجامعة العراقيَّة، مج٧٤، ع١٠ شباط ٢٠٢٦م.

-شعر مصطفى جمال الدين. دراسة لغويَّة وفنيَّة: صبَّار شبوط طلاع، بحث منشور في مجلة آداب البصرة، ع١٨، ٢٠٠٩.

-الغربة المكانيَّة والزَّمانية في شعر مصطفى جمال الدِّين: ذو الفقار سعد حمزة الجبوري، بحث منشور في مجلة الكليَّة الإسلاميَّة الجامعة،ع٧١،ج١.

وفي ضوء اطلاعنا على الدِّراسات السَّابقة تبيَّن أنَّ موضوع البحث لم يُدرس دراسة مستقلة تجمعُ بين السِّياقات المختلفة في إطار تحليلي شامل وهو ما تسعى إليه هذه الدراسة لتحقيقه

خطة البحث: قد اقتضت طبيعةُ البحث تقسيمه على مطلبينِ تسبقهما مقدِّمة وتعقبهما خاتمة ثمَّ قائمة بمصادر البحث ومراجعه، تناولتُ في المطلب الأول: الإطار النَّظريّ المفاهيميّ للبحث، فضمَّ تعريف السِّياق والتجلِّيات، ونبذة عن حياة الشَّاعر، وفي المطلب الثَّاني تناولت فيه أنواع السِّياق وتجلِّياته وتطبيقها على شعر مصطفى جمال الدِّين.

المطلب الأول: الإطار المفاهيميّ للبحث

نبذة عن حياة الشَّاعر مصطفى جمال الدين (١٩٢٧-١٩٩٦م):

وُلِد الشَّاعرُ العراقي مُصطفى جَمال الدِّين في قرية المؤمنين إحدى قرى مدينة النَّاصرية في جنوب العراق، ينتمي إلى أسرة دينيَّة علوية اتخذت من دراسة العلوم الدينيَّة طريقًا لها، وسكن مدينة النجف وأكمل دراسته فيها، ثم أكمل دراسته في العاصمة بغداد، ونال شهادة الدكتوراه من جامعة بغداد في سنة ١٩٧٩م، وتوفِّي في المهجر خارج العراق في سنة ١٩٩٦م، ودفن في مدينة دمشق، له مؤلفات عديدة منها: القياس حقيقته وحجته، البحث النحوي عند الأصوليين، والإيقاع في الشعر العربي من البيت إلى التفعيلة وغيرها[١].

التَّجلياتُ لغةً واصطلاحًا:

التَّجلياتُ لغةً: التَّجلِّي مصدر بزنة(تَفْعِيل) من الفعل الثلاثي مضعَّف العين (جلَّى) وأصله اللغوي((الجيم واللام والحرف المعتل أصل واحد، وقياس مطرد، وهو انكشاف الشيء وبروزه. يقال جلوت العروس جلوة وجلاء، وجلوت السيف جلاء ... ويقال تجلَّى الشيء، إذا انكشف))[٢]، وأصل التجلِّي الانكشاف، وقد يكون بالذات نحو قوله تعالى:﴿ **وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا**﴾ سورة الشَّمس/٣ و﴿ **النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى**﴾ سورة الليل/ ٢، وتجلَّى ظهر[٣]، وتجلِّى الشَّيء تكشَّف كما في قوله تعالى:﴿ **فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ سورة الأعراف/ ١٤٣. فالمتتبِّعُ للمعاني اللغويَّة للتجلِّي يظهرُ له أن دلالته تدورُ حول معنى الوضوح والظهور والانكشاف.

التَّجلياتُ اصطلاحًا: انتقل مصطلح (التجلِّي) من اللغة إلى النقد والأدب، واستلهم من الموروث الصوفي الذي يعني انكشاف الحقيقة، أو ظهور الأثر في صورة يمكن إدراكه[٤]، ليشير إلى ظهور المعاني داخل النص الأدبي، وانكشاف الدِّلالات العميقة والرؤى الفكريَّة والجماليَّة عبر البنية اللغويَّة.

السّياقُ مفهومُه، أنواعُه، عناصرُه:

السياقُ لغةً: ذهب ابنُ فارس (ت٣٩٥هـ) إلى أنَّ((السين والواو والقاف أصل واحد وهو حذو الشيء، يُقالُ: ساقه يسوقه سوقا، والسيقة ما استيق من الدواب، ويُقال سُقتُ إلى امرأتي صداقها وأسقته، والسوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كلِّ شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره والجمع سوق، وإنما الماشي ينساق عليها))[٥]، وتقولُ العربُ تساوقت الماشية إذا تتابعت في السير، وإذا ولدت المرأة واحدًا تلو الآخر يُقالُ عنها سياقًا[٦]، و((سياق الكلام تتابعه والأسلوب الذي يجري عليه)) [٧] .

فالمتتبعُ للمعاني اللغويّة للسياق يلحظ أنَّها تدورُ على معنى التسلسل والتتابع والانتظام والترابط.

-السياق اصطلاحًا:

أولت الدِّراسات النقديَّة الحديثة السِّياق أهميةً كبيرةً لأنه المرتكز الأساس في فهم الخطاب وتأويله، إذ يعرف السِّياق **بأنَّه**((تجريد عالي للصورة المثالية مأخوذة من موقف ما، وهو يحتوي فقط على أحداث تعين على نحو مطرد مناسبة العبارات المتواطأ عليها، وجزء من مثل هذه السياقات قد تكون على سبيل المثال أفعال كلام المشاركين وتكوينهم الداخلي معرفتهم، واعتقادهم، وأغراضهم، ومقاصدهم))[٨]، وهو مجموع الشروط الاجتماعية الممكن أخذها بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللساني وغالبا ما يحدد السِّياق بالسِّياق الاجتماعيِ للاستعمال اللغوي وهو أيضا السياق المقامي[٩].

وأما العناصر المكونة للسياق فقد حُدِّدت بما يلي[١٠]: المشاركون في التبليغ (المتكلمون والمستمعون)، مكان التفاعل ،القولُ، ويشملُ: الصفات اللغويَّة وغير اللغويَّة، مقاصدُ المتكلمين، الزَّمان فهذه العناصرُ السِّياقيَّةُ هي التي توجهُ تأويلَ النَّص وتدعمُ التَّأويلات الممكنة[١١] .

والسِّياق يُشيرُ إلى تأثيرِ البيئة اللغويَّة أو غيرها في النَّص، ويتفرَّع السِّياقُ إلى نوعينِ أساسيينِ هما[١٢]: السِّياقُ اللغوي (سياقُ النَّص)، والسياقُ غير اللغوي(سياقُ الموقف أو البيئة غير اللغوية)، ونعني بالسَّياقُ اللغويُّ: ((سلسلة من التتابعات اللغويَّة وهو تلك الأجزاء من الخطاب التي تحفُّ بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها))[١٣]، أي استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة مع كلمات أخرى مما يكسبها معنى محدَّدًا، وكل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة(بنية النص) من تسلسل العناصر وترتيبها، وتقارن المفردات وتتالي الوحدات وما يحتويه من قرائن، تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية، وهي تندمج في نطاق التركيب.

وأمَّا السياقُ غير اللغوي فيسمَّى: سياق الموقف، أو البيئة غير اللغوية التي تحيط بالخطاب وتسهم في إبراز معناه[١٤].

ويوجد النوعان في الخطابات، ولا يمكنُ الفصلُ بين الجانب المقالي والجانب المقامي في دراسة النصوص[١٥]؛ لأنَّ الدِّلالة النصيَّة تتوقفُ عليهما ومرهونة بهما، فالسِّياقَ يساعدُ أطرافَ الخطاب على تأطير الدلالة وترسيم حدودها، إذ هو آلية من آليات ضبط القراءة[١٦]، ولهذا يعد السياق عنصرًا مهمًا لفهم الرسائل والدِّلالات العميقة التي تتضمنها قصائد الشَّاعر مصطفى جمال الدين.

ويعد مصطفى جمال الدين من أبرز شعراء العراق في القرن العشرين، إذ تميز شعرُهُ بعمقٍ دلالي وتوظيفٍ سياقي بارز يظهرُ في ضوء تفاعله مع القَضايا القوميَّة والدينيَّة والاجتماعيَّة، فللسياقِ دورٌ مركزيٌّ في تشكيلِ نصوصهِ الشِّعريَّة من حيثِ اللغةِ والصورةِ والمعنى.

وباستقراءِ ديوانِ الشَّاعر نلحظُ تنوّع السياقات وتجلياتها في شعره، مما يساعد على تفسير المعاني وتحديد المقاصد الشعريَّة، وقد يكون لغويًا، أي مرتبطًا بالكلمات والجمل داخل النص، أو غيرَ لغوي مثل السياق الثقافي والتاريخي والاجتماعي الذي يؤثر على فهم القارئ للنص، هذه السِّياقاتُ شكَّلت بيئةً خصبةً لشعره.

المطلبُ الثَّاني: الدِّراسةُ التطبيقيَّة للسِّياق وتجلياته في شعر مصطفى جمال الدين

تجلياتُ السِّياق التَّأريخي :

يُشكِّلُ التأريخُ مرجعًا مهمًا وعنصرًا أساسيًا في شعر مصطفى جمال الدين، وقد تجلَّى ذلك في تصوير كثير من الأحداث والمواقف التي عاشها، وتطرَّق كثيرًا في قصائده إلى القضايا الوطنية والقومية، حتى غدا شعره أداةً للتعبير عن القيم والمبادئ الإنسانية، ولا شكَّ في أنَّ للعوامل التاريخيَّة في حياته أثرًا في ذلك، وهو ما انعكس على شعره، وهذا ما نلحظه بشكلٍ جليّ في قوله في قصيدته (معلم الأمة)[١٧]:

جُذورُكَ فـــي بَغدادَ ظامِئَةٌ سَغبى ... وظِلُّكَ في طهرانَ يَحتضِنُ العُربا

وأنتَ ربيعٌ من جِنـان محمـــــــدٍ ... تَضوَّعَ في أردانِ (سَابورَ)إذ هبّـــا

كأنَّ مَجاني (عُكبرا) حين أخصَبَت ... تَذوَّقُ في أفواهِ جاراتِها الخِصبـا

وأنَّ دمـًا من قلبٍ (قحطانَ) لم يَجد ... شَرابِينَهُ فاختار من (فارسٍ) قلبـا

فهبَّتْ له أوداجُها وعُروقُهـــــــا ... ولاقت على كفيهِ مَنهلَها العَذبـا

وعُقباكِ يا بغدادُ أنَّكِ عـــــــاقِرٌ ... وإن كنتِ أنجبتِ العباقرةَ الشُهـبا

فهذه الأبيات تحملُ دلالاتٍ تاريخية قوية تعكسُ رؤيةَ الشَّاعر للعلاقة بين العرب والفرس، وبين بغداد وطهران، وبين الماضي والحاضر، ويُعبِّرُ عن الشِّعور بالغربةِ، فالشَّخصُ المرثيُّ جذورُه في بغداد لكنَّه يضطرُ للعيشِ في طهران؛ لأنَّهُ عَانَى من الفقد والإقصاء عن وطنه بينما

هو في مكان آخر يحتضنه، فالنص((يرتبط بالمكان ويعكس الابتعاد القصري عنه، لذلك ابتدأ الشاعر بالغربة ثم تناسلت لتولد التشرد والضياع لأن الغربة معناها الانتماء إلى اللامكان وهي تفرض على الإنسان الشعور بأن مصيره مسكون بالخوف))[١٨]، إلى أن يقول في القصيدة نفسها[١٩]:

وأنَّ أخا (أُمِّ المعاركِ) بـــــاذلٌ ... قُصاراه كي تَستمرئِوا الذُّلَّ والكِذبا
تأرنَبَ في (الخَفجيّ)والحفر حاقدٌ ... تنمَّر فـــــي طفلٍ وثاكلةٍ تعبى
وأَقعَتْ صواريخٌ إلى القدسِ وجهُها ... فَكعَّت ومَالتْ تحصُدُ الدينَ والشعبا
ويا جِيلَ شعبانَ اصمدوا إنَّ خلفكم ... صِقال المواضي والعقيدة والربـــّا

يوجّهُ الشَّاعرُ نقدًا شديدًا لحاكم العراق آنذاك الذي كان يحكمُ العراقَ، وما له من دورٍ في المعركة المعروفة بـ(أمِّ المعارك) وأهدافها التي جعلت الآخرين يعتادون على الذُّل أو الكذب، موظفًا الأسلوب الخبري، ثم يستخدم أسلوب الانشاء الطلبي وهو أسلوب النداء في قوله يا جيل شعبان الذي ثار على الظلم والاستبداد.

ومن تجلياتِ السِّياق التاريخي تعرضه إلى قضيةِ فلسطين والقدس في قصيدته التي يقول فيها[٢٠]:

ويا ثَرى القُدسِ لا تعبأ بـــــقافلةٍ ... أقدامُها في التُراب الطُهر أقذارُ
تَمُرُّ فيكَ بطاءً وهـــــــي مُوقِنةٌ ... أنَّ المُخِفَّ بهذا الجمرِ صبَّـــارُ
دَعهم يَعبّونَ في الأقصى كؤوسَهُم ... وتُستَلَذُ لهم في المَهدِ أسمـــارُ
دعهم يَحجّونَ للمبكى ومـــا نَسَجت ... لهم عليه أساطيرُ وأحبـــــارُ

وقد أشارَ الشَّاعرُ في مقدمة ديوانه إلى أنَّ ((العروبة التي أدعو إليها ليست هي(القومية الضيقة)، بل هي ذلك الجسد الذي كان الإسلامُ روحَه، تتسعُ لكل ما يتسع الإسلام من إخوّة وسماح، وباستطاعتها أن تحمي لغات وثقافات شركائنا في الوطن العربي، وحقوقهم القومية، بنفس القوة التي تحمي بها العروبةُ لغتَها وثقافَتها وحقوقهم القومية))[٢١]، فموقفُ الشَّاعر من القضية الفلسطينيَّة قد جسّدهُ باختيار الألفاظ التي صوَّرت حالته الشعورية وتوتره النفسي مستخدمًا أسلوب القوة والقسوة[٢٢]، فتوافقُ السِّياق اللغوي داخل النص مع السِّياق الخارجي في تصوير المعنى، مما يعبر عن أنَّ السياق الخارجي يُسهمُ في اختيار البنية الأسلوبيَّة المناسبة للمعاني المجسدة في النص الشعري.

تجلّياتُ السِّياق الاجتماعي:

لم يكن الشَّاعرُ مصطفى جمال الدين منعزلًا عن مجتمعه، بل كان صوتًا ناطقًا بأحوال النَّاس وهمومهم، فنجد شعرَهُ مرآةً للواقع الاجتماعي في العراق والعالم العربي في القرن العشرين، إذ عكس شعرُه القضايا الاجتماعية والإنسانية في مجتمعه، وتتجلَّى في نظرته إلى الواقع الاجتماعي وتأملاته في هموم الناس ومعاناتهم، وامتلاكه الوعي الجمعي في التعبير عن طموحاته وأفكاره حول العدالة والتغيير، من ذلك ما نلمحُه في قصيدته (في كلّ عام جديد) الذي يصوِّر لنا الشيخَ الكبير ويصفُ حالَه ويستعرضُ شكواه : (٢٣)

فها هو الشيخُ على ضعفهِ ... يَهتِفُ بالعام – حثيث السُرى –
أهلا بأشذائِكَ من قَـــادمٍ ... هبَّ إليه الكـــــونُ مستبشرا
عامي الذي مرَّ، ويـــا ليتَهُ ... مـــــا مرَّ في عُمرِي، ولا قُدِّرا
لم يرَ في النَّاسِ سوى منكبي ... مَـــــــا يَحمِلُ الهَمَّ الذي كَوَّرا
فَراحَ يَرميني بـــــأسقامِهِ ... كأنني أصبحتُ كُـــــلَّ الوَرى
حتى إذا رقَّت لحالي العَصا ... واحتملَتْ مِن هَمِّي الأكثـــــرا
ألقى على عينيَّ مِـن حقدِهِ ... غشـــــــاوة تمنعني أن أرى
وها أنا جئتك لا طالبًـــــا ... رِفدًا، ولا جَـــاهًا ، ولا مَنظَرا
لكنني أطمَعُ فـــــي مُقلةٍ ... استقبلُ العـــــامَ بها مبصرًا

هذه الأبيات تحملُ دلالةً وجدانيَّةً تعكسُ التَّجربةَ الشَّخصيَّةَ المليئةَ بالتَّحديات وهذه الشَّخصية تجلَّت في شخصية (الشَّيخ) وهو يقارن بين عام مضى وعام جديد، إذ فرض السياقُ الاجتماعي أسلوبا يميلُ إلى المباشرة النسبية، ويُخفف من غموض الصورة لتكون الرسالة التي يحملها واضحة للمتلقي.

والشاعرُ يدعو إلى الإصلاح والتغيير بلغة واضحة بعيدة عن التكلف كما في قوله:

يا قومُ حَسبكُم الخُمولُ فقد مضى ... زَمَنٌ بفِطرتـــها تَشِبُّ الرُّضّع
والعصرُ عصرٌ لا يشبُّ وَليـــدُه ... ألا لِيُعجِبَهُ المِفنُّ المُبـــــدِع
عصرُ المدارسِ عَذبِها وأُجاجِها ... تَبني العقولَ بما يَضرُّ وينفع
لا عصرُ كُتـَّاب قُصارى جُهدِهِ ... صُحُفٌ مبـــاركةٌ وآي مُمتِع
صونوا مَناهجَكُم تَصونوا دِينَكم ... وابنوا العقولَ يَقُم عليها مَجمَع
فالدينُ ليـــــسَ يَرُبُّهُ ويسُوسُهُ ... شيخٌ بمحرابِ الدجى يتضرَّع
ولـــقد عَهِدنا الدينَ عندَ محمدٍ ... سيفًا بحالكةِ المنايـــــا يَلمَع

فالسِّياقُ الاجتماعيُّ أدَّى دورًا جوهريًّا في تشكيلِ تجربةِ مصطفى جمال الدين، فجاء شعرُه يحملُ بصمةَ مجتمعٍ يعيشُ التحوّلَ والتَّأزمَ ويبحثُ عن الخلاص، فضلًا عن أنَّ هذه العلاقةُ بين الشَّاعرِ ومجتمعهِ منحت شعرَهُ صدقًا وتأثيرًا وامتدادًا يتجاوزُ حدودَ الزمنِ والمكان، فالسياق هو الذي يعين الغرض من اللفظ، ويُحدِّد دلالته[٢٤]، فالمعنى لا يستخلص من الكلمة وحدها، بل من موقعها في البيت الشعري، ومن علاقتها بما قبلها وما بعدها، ومن الظروف التي قيلت فيها.

تجلّياتُ السِّياق النفسي:

الذاتُ الشَّاعرة تمثّلُ مرتكزَ عمليةِ التَّواصل ((فهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب من أجل التعبير عن مقاصد معينة ويفرض تحقيق هدف فيه))[٢٥]، ويُشكِّلُ الشعرُ عند مصطفى جمال الدين مرآةً لحالته النفسيَّة والوجدانيَّة، إذ تنعكسُ المشاعرُ والتجاربُ الداخليَّة التي مرَّ بها الشَّاعرُ من مثل: الغربة، والحب، والفقد، لتُشكِّل صراع الذات مع الواقع، حيث تتحوَّل كلماته إلى مرآة للحنين والألم، والبحث عن الانتماء، وللأبعاد النفسيَّة أثر كبير في شعر مصطفى جمال الدين، فنرى انعكاساتها العاطفية وحالات التوتر والقلق أثرت على موضوعاته الشعرية وتنوعها، وهو ما يدعى أيضا بالتجربة الوجدانيَّة؛ لأنَّ من صفات الشعر الجيد ((ارتباطُه بالانفعال الذي يغمرُ النفسَ المبدعة وهي تعاني تجاربَها الفنيَّة قبل أن تخرجَ في صورتها الماديَّة مجسَّدة في شكلٍ فني محدد فتكون الحاجةُ ماسةً إلى أدوات قد تكون إشارية أو صريحة لكي تدخل في تحديد قوة الانفعال وتنظيمه ليتحول من مجرد انفعال بتجربة ما إلى انفعال خلَّاق منتج يعيد هذه التجربة ويبعثها من جديد)) [٢٦]، ونلمحُ الصُّورَ الشِّعريَّة والتعبيرات العاطفيَّة للتعبير عن موضوع (الأمل)، من ذلك ما قاله الشَّاعر في ابنه [٢٧]:

أهلاً بعينيكَ أبـــــا فلاح ... يا مَالئ القلوبِ بالأفـــراح
وحاصدَ اليأس وزارعَ المُنى ... وساكبَ البُرء على الجِراح
وجـــاعِلَ الليلِ لفرط بهجةٍ ... أجملَ من تَوهُجِ الصبـاح
يا قاربًا يخفقُ فـــي شِراعِهِ ... قلبانِ شدا على كـــــفاح

تتجلَّى اللغةُ الشِّعريَّةُ في هذه القصيدةِ في ضوءِ الانزياح الأسلوبي التي هيمنَ عليها الفنُّ الاستعاري في قوله (حاصد اليأس وزارع المنى وساكب البرء على الجراح)، والتقابلُ بين الألفاظ عن طريق التضاد بين ثنائية(الأمل واليأس) في البيت الثاني يُصوِّرهُ الشَّاعر في شخصية (أبي فلاح) في حصده اليأس وزراعة الأمل، مما يعكسُ دورَه في تحويلِ المشاعر السَّلبيَّة إلى إيجابية، فضلًا عن قدرة الشَّخصية الممدوحة على تخفيف المعاناة وإضفاء الرَّاحة متمثلًا في قوله(ساكب البرء على الجراح).

ويصوِّرُ الشَّاعرُ حزنه وآلامه في قصيدته (قطيع الأحزان)[٢٨]، التي أنشدها في أربعين عمِّهِ السيد عباس جمال الدين في البصرة:

دَعني وأحزاني وهاتِ الأدمعا ... سِيَّانِ: أنْ أدَعَ الأسى أو أجْزَعا
نَشِبَتْ سِهامُ النائباتِ بمَن إذا ... نَشِبَت بِنا لُذنا فكـــانَ المَفزَعا
وإذا رَمَتْ قلبًـــا تحشَّدَ قلبُهُ ... ليكونَ سابغَ دِرعهِ والأضلُعــا
وإذا ترَاكَم فـــــي فُؤادٍ هَمُّهُ ... نَسَمتْ شمـــــائِلُهُ بهِ فتَقَشّعا
صَلتُ الجبينِ إذا تلألأ وجهُهُ ... وضميرُهُ لم تدرِ أيَّا انصعـــا

فالدِّلالاتُ النفسيَّةُ لألفاظِ القصيدة ((تحملُ انطباعًا حزينًا في قلب الشَّاعر حتى جاءت متساويةً لنبض الوجدان الذي أثقل كاهله))[٢٩]، فالشَّاعرُ في تلك الأبيات اختارَ استخدامَ القافية المطلقة، التي أعطت امتدادًا صوتيًا مفتوحًا وانسيابًا موسيقيًا طويلًا، فغدا الإيقاع أكثر تدفقا من غيره في التعبير عن الانفعال، وهذا الامتدادُ العاطفي خلقَ إحساسًا بالانسياب والرحابة، وكأنَّ المعنى يتدفَّق بلا انقطاع، مما جعل التناسبَ بين الصوت والمعنى واضحًا في توصيل معنى الحزن ممزوجًا بالمدح الوصفي الذي هيمنَ على القصيدة.

فالسِّياقُ النَّفسيُّ، إنَّما هو جوهرُ التَّجربة الشعوريَّة، تتخللُ انفعالاتُه كلَّ مستويات النَّصّ من الصورة، والايقاع، واللغة، والرؤية، مما جعل شعرَهُ يحملُ بصمةَ نفسٍ مأزومة، تعيشُ قلقًا فكريًّا، وانقسامًا بين التوقِ الروحي والانكسارِ الزَّمني، مما منحهُ عمقًا إنسانيًا بالغًا.

تجلّياتُ السِّياق السِّياسيّ:

عَايَشَ الشاعرُ مراحلَ حسَّاسة من تاريخ العراق والعالم العربي من الاحتلال البريطاني إلى الحروب الإقليميَّة، والصراعات الداخلية والانقلابات العسكريَّة، مما جعل شعره يَرتبطُ بالأحداثِ السِّياسيَّةِ مثل: الثَّورات وحركات التَّحرر، والوطنية والانتماء، هذه الموضوعات وغيرها التي تتعلقُ بالوطنِ والانتماءِ والتضحيةِ في شعره والنَّقد الذي يوجهُهُ إلى الحُكَّامِ جاءت نتيجة للأوضاع السائدة سواءٌ أكانت متعلقةً بالفسادِ أم بالظلم.

ولعلنا لا نغالي إذا قلنا بأنَّ الشَّاعرَ لم يُوظِّف شعرَه – مثلما يفعلُ بعضُ الشعراء – في مدح الحكَّام والقادة السياسيين، وهذا ما جعل شعره صادقًا صادرًا عن ذات شاعرة، وقد وسم بالبعد عن التملق والتكسب، فالحضور السياسي كان واضحًا في شعره وقد تمظهر في انعكاس الأحداث السياسيَّة والقضايا الوطنيَّة ونقدها.

ومن ذلك ما نجده في قول الشَّاعر في قصيدته (مصارع الشهداء)[٣٠] ، هذه القصيدة التي وصفت بأنَّها((لوحةٌ تاريخيةٌ رائعة رسمت على يد مؤرخ عايشَ الأحداث زمانًا ومكانًا وكان محايدًا وصادقًا وموضوعيًا في تدوين الأحداث)) [٣١]، إذ يقول فيها:

يا لَبؤسِ العراق.. ما سَارّ في الحَل ... بةِ إلَّا وشوطُهُ للـــــــــــوَراء؟
رُبعُ قَرنٍ مضى و(تمّوزُ) مـــــازا ... لَ رَمادًا بأعينِ البُؤســـــــــاء
وسنينًا من الشُواظِ تآكـــــــــل ... نا عليها، ونحن صَرعى بلا انتشاء
وأناشيدُنا لـــــــــ(وَحدةِ) شعبٍ ... لم تُحقّق حتى من الرُّفَقـــــــــاء
ونغنّي حُريّةً لم نَذُق منهـــــــا ... سوى ذُلِّ قيدِنا .. والغِنـــــــاء
واشتراكيّةً طحنَّا بهـــــــا الأج ... يالَ فارفضَّ طحنُنا عن هَبـَـــاء
ثمَّ عُدنا بَعد النِضـــالِ إلى جن ... ناتِ عدنٍ .. أنهارُها من دِمـــاء
وكرُومٍ مُعرَّشاةٍ، دَوالـــــــي ... ها بَقايا أعضائِنـــــــا البَتراء
وعراقٍ أبناؤهُ غُرَبـــــــــاءٌ ... وحِماهُم والأهلُ للغُرَبـــــــاء
وزعيمٍ تَقدّمي، يرى النـــــــا ... سَ سواءً: في القتلِ والإيـــــذاء

فلغةُ القصيدة تميلُ إلى المباشرةِ في التعبير إذ تفصحُ عن حالة الشَّاعر التي يتحسَّر فيها عن وضع وطنه وهومن الشُّعراء الذين ((يعيشون هموم مجتمعاتهم، ويعبرون عن آمالها وآلامها، ويتفاعلون مع ما يحدث بها من أحداث جسام)) [٣٢].

إلى أن يقول الشَّاعر في قصيدته في القصيدة نفسها[٣٣]:

أينَ يا (فارسَ العروبة) أمسَـــي ... نا .. وكيف انتهيت في الهيجاء؟
ومتى تنجلي لياليك عن صُبح ... ولو كـــــــــان باهتَ اللألاء
من سيُحيي أعيادَ (ميلادِكَ) الآ ... تي، وأوطانُنا بلا أبنـــــــــاء
أوراءِ الخمسين ألفـــا من الأس ... رى، وأمثالُهم عـــــــلى الغبراء

فهذه القصيدة تنهضُ على أسلوب الانشاء الطلبي – الذي شكَّل مهيمنة أسلوبيَّة على النص – متمثلًا في (الاستفهام) الذي تنوعت أدواته في (أين، كيف، متى، من، الهمزة)، فنلحظُ أن الشَّاعر يبدأ قصيدته بالاستفهام المجازي الذي خرج إلى معنى الإنكار في قوله: أين يا (فارس العروبة)، فالشاعر ينكر الحال التي وصلت إليها الأمة ويتحَّسر عليها ويتعجَّب من الوصول إليها في حين نلحظ في قوله: (متى تنجلي لياليك...)، أنَّ الاستفهام هنا قد أدّى معنى مجازيًا، ألا وهو التمني فالشاعر يتمنَّى الفرج حتى ولوكان ضعيفًا.

تجلياتُ السِّياق الثَّقافي:

يُعرَّف السِّياقُ الثقافي بأنَّه ((السِّياقُ الذي يكشفُ عن المعنى الاجتماعي، وذلك المعنى الذي توحي به الكلمة أو الجملة، والمرتبط بحضارة معينة أو مجتمع معين ويدعى أيضا المعنى الثقافي))[٣٤]، ويتجلَّى السياقُ الثقافي في شعر مصطفى جمال الدين في ضوء حضور التراث العربي والإسلامي، والتفاعل مع الثقافة المعاصرة، وأثر الحداثة في شعره، فضلًا عن البعد الفكري الذي يتمثل في عرض القضايا الفكريَّة.

إنَّ المتأملَ في قصائد مصطفى جمال الدين يجدُ العلاقةَ واضحةً بين التُّراثِ والحداثة مؤدية دورًا مركزيًّا في شعره، وفي توجيهِ لغتهِ ومضامينهِ الشِّعريَّة، فقد تأثَّرَ الشَّاعر بالتراث العربي القديم، وهو ما انعكسَ على تشكيلِ لغتهِ الشِّعريَّة وتوظيفهِ للصُّورِ والرِّموز، كما نجدُ في جانبٍ آخر ظهورَ الرغبة في تحديثِ الأساليب بما يتلاءمُ مع قَضَايا العَصر، ومثال ذلك قولُ الشَّاعر في قصيدِتِه (إلى الطليعة الشاعرة)[٣٥]:

أَبعِدوا عن قضيّةِ الشعرِ مـــالا ... تَشتَكي رُوحُهُ من الأوصـــاب
فقضايا الأفكارِ أنبَلُ قصـــدًا ... من مُلاقاةِ هَمِّهـــــا بالتغابي
لم يكن للخليلِ حقٌّ علـى الشعرِ ... ولا بيعةٌ له في الرِقـــــاب
قد سَئِمنا (عَرُوضَهُ) ولكـم شقْ ... قَ حُسامٌ مـــا ملَّه من قِراب
غير أنَّا نخـــافُ من صَدَأ الرو ... حِ إذا طالَ هَجرُهـــا للإهابِ
فاملأوا الكأسَ كيـف شِئتُم ولكن ... حـاذِروا أن يكونَ مُرَّ الشَّراب
واكتبُوا الشِّعرَ مُترَفَ الروحِ والجس ... مِ وخَلُّوا جِدَالَنا في الثِيـــاب
فطِرازُ الفُستـــانِ آخِرُ ما يُل ... فِتُ أنظارَنـــا لسِحرٍ كَعَاب

فالأبياتُ تكشفُ عن مقصديَّة الشَّاعر في التأكيد على المعاني وليس الألفاظ، وهي تعبر عن أمل الشَّاعر في جيل الشباب المثقف الواعد لقيادة التغيير.

ومن تجلياتِ السياقِ الثقافي نجدُ جدليةَ (الأصالة والمعاصرة) حاضرةً في الخطاب الشعري؛ لأنَّ شعرَ مصطفى جمال الدين غالبًا ما يعكسُ أزمة الفرد العربي المعاصر بين التمسكِ بالتقاليد، أو الخروجِ عنها والانسجام مع الحداثة، كما في قول الشَّاعر عندما تعرَّض إلى المغتربين الذي نسوا تقاليدَهم وانخرطوا في سلك الغرب في قصيدته التي يقول فيها[٣٦] :

أيها المُدلجون في ظلم المنفى ... وزادُ المسيرةِ الإرهـــاق
القريبون والوِفاقُ بعيـــــدٌ ... والطليقون والخلاف وثاق
والمُطيقونَ كلَّ ضَائقةِ الغُربةِ ... لكنَّ ذلهم لا يُطـــــاق

تُصوِّر هذه الأبيات تجربة المنفى بوصفها حالةً وجوديةً قاسية يمتزجُ فيها الخوفَ بالغربة إذ يصبح الإنسانُ فيه ممزقًا بين الرغبة في الصمود والاحساس بالضياع، فالبناء الأسلوبي ارتكز على اختيار ألفاظ النص المشحونةً بالدلالة الحزينة مثل ظلم المنفى، الإرهاق، ضائقة، الغربة، لا يُطاق، فرؤيةُ الشاعر تتمركز على الرؤية النقديَّة لواقع الإنسان العربي في زمن الاغتراب الذي يتجاوزُ حدودَ المكان، وقد استثمرَ الشَّاعرُ تقنيةَ المفارقة في التعبير عن الشعور بالعزلة النفسيَّة وصراع الإنسان بين الالتزام والحرية، وعليه يمكن القول بأن الواقع الخارجي كان سببًا في تشكيل السِّياق الدَّاخلي وبناء النص، فجاءت الأبيات مشبعةً بالألم والتوتر والاحساس بالقهر في ضوء اختيار الصور الشعريَّة والألفاظ.

تجليات السِّياق الدِّينيّ:

إنَّ نشوءَ الشَّاعر في بيئةٍ فقهيَّةٍ ملتزمةٍ، وتتلمذه على يد كبار علماء النجف كان له الأثرُ البارزُ في جعل الدَّين مكونًا أساسيًا في شخصيته وهذا مما انعكسَ على شعره، فقد مثَّلَ السِّياقُ الدِّينيُّ بعدًا تكوينيًّا شكَّل رؤيتَه للإنسان والحياة، وجعلَ من شعره مساحةً للموازنة بين الإيمان والجمال، وبين الواقع والقداسة بأسلوب يجمعُ بين حرارةِ العاطفة وعمق الفكر.

وللثَّقافةِ العربيَّةِ الإسلاميةِ تأثيرٌ واضح على شعره ، فقد تعرَّض الشَّاعرُ إلى الفكر الديني الذي تمثَّل في موضوعاتٍ مهمةٍ مثل: الإيمان، الصبر، الشكوى، النور، الهداية، الحق، النضال، والتضحية، مما تحيل القارئ إلى مرجعيات دينية متنوعة، ففي إحدى قصائده نجدُ الشَّاعرَ يناجي الله (جلَّ جلاله) ويشكو له إذ يقول(٣٧):

سبحانَك اللّهم .. تبتعثُ الرجَـا ... في القلب .. أضيقَ ما يكونُ، فتُوسِعُ
وتُعيدُ للحقلِ الجديب شبـــابه ... فَيَرِفُّ بالزَهَرِ النَديَّ، ويَلْمـــــــعُ
وتطوف في حَلَكِ السجونِ ببائسٍ ... القَيْدُ يضحك من بُكـــــــاهُ فيجزعُ
وإذا برحمتك الرضيَّةِ في البُكـــا ... ضَحِك.. وفي الضحك المخاتل أدمع
سبحانك اللَّهم نحن كمـــا ترى ... صُبْحٌ ولـــــــــكن بالدجى يتقنّعُ

إنَّ قيمةَ النَّص تتجلَّى من أسلوب التضاد، فقد كُتبت القصيدة بلغةٍ هادئة معبرة عن حضور الخطاب الديني والتعانق بين الألفاظ لسمو المعاني، وهو ما يفصح بأنَّ الشَّاعرَ في هذه الحالة في حضرة الذات الإلهية المخاطَبة، إذ تُهيمنُ الثنائيات الضديَّة المتمثلة في الكلمات (أضيق/ فتوسع، يضحك/ بكاه، البكا / ضحك، صبح / الدجى) التي منحت النصَّ بعدًا دلاليًّا ساهمت في التعبير عن رؤية الشَّاعر المتجسدة في بث الشكوى، مما انعكست معاني الشاعر على أسلوبية بناء القصيدة.

ومن تجليات السياق الديني ما نلحظ في شعره أنَّه يشكو إلى الرَّسول الأعظم محمد (ص) في قصيدته التي يقول فيها[٣٨] :

يا رسولَ الإيمان قد طَفح الكأ ... سُ، وضـــاقَتْ بما تُسِرُّ الضلوع
قد أضعنا إيماننا وهو، لو نع ... لَمُ، أقسى– في يومِنا– ما نُضِيعُ
نترجَّى أيام بدرٍ، وهيهـــــا ... تَ (لماضٍ من الزمـــان رجوع)
قد لبستم ذُلَّ القيودِ، ولكــن ... أسفَرَ الصبحُ، وهي– مِنكَ– دُروع
وحملتم جدبَ الحيـــاة لتهتزْ ... زَ رِمالُ الصحراء .. وهي ربيــع

قطبا عملية التواصل في هذه القصدة تكمن في الطرفين الأساسين هما(الشاعر/ المخاطب الرسول محمد (ص))، فالشَّاعرُ يسلكُ في هذه القصيدة مسلكَ الخطاب موظفًا أسلوب النداء الذي خرج إلى غرض مجازي متمثلًا في بث الشكوى والحنين إلى الماضي، فقد تحوَّل الماضي إلى أداة فاعلة لقراءة الحاضر ومساءلة الواقع، فهذا الخطاب الشعري يفصحُ عن مقصديَّة الشاعر التي يريد طرحها والتعبيرَ عنها في ضوء البنية اللغويَّة القائمة على ثيمة المقارنة بين عصرينِ مختلفينِ، فالنصُّ يتحاورُ مع الذاكرة ويستثمرها في التعبير عن قضايا الإنسان المعاصر وهو ما يمنح القصيدة بعدًا إنسانيًا تأويليًا يجعل القارئ شريكًا في استحضار المعنى، فتتأسس العلاقة بين النص والسياق على مبدأ التفاعل والتأويل لا النقل الحرفي له.

وفي قصيدةٍ أخرى يتعرَّضُ الشَّاعرُ إلى المناهج بقوله[٣٩] :

صُونوا مناهجكم تصُونوا دينَكم ... وابنُوا العقولَ يقم عليـــها مجمعُ
فالدينُ ليـــسَ يرُبُّه ويسُوسُه ... شيخٌ بمحرابِ الدجـــى يتضرَّعُ
ولقد عَهِدنا الديــن عندَ محمدٍ ... سيفًا بحالكة المنايـــــا يلمعُ
ومنابرًا طَلَعْت على آفاقهـــا ... خطبٌ من الصبح المُنوَّر أنصَعُ

وفي قصيدة أخرى نجد الشاعر يخاطبُ الإمامَ الحسين بن علي(عليه السلام)[٤٠]:

مَولاي أنت لكل جيلٍ صـــاعد ... قبسٌ يُنيرُ له السُرى ويُحبِّبُ
ولأَنْتَ إنْ زَلّتْ به قَدَمُ الهـــوى ... صَوتُ الضميرِ يَردُّهُ ويُؤنِّبُ
ولَنا بيومَك وهو في أقصى المَدى ... كفٌ مُلوِّحةٌ وعيـــنٌ تَرقُبُ
فَعَلى مَ يَرْجِمُ بالظُنونِ مُخاتِـــلٌ ... ويعيشُ في وهم الخَيال مُخرِّبُ

في هذه القصيدة تتحولُ الرِّموزُ الدينيَّة في شعره من دلالاتها الثابتة إلى رموز للحريَّة والكرامة، فيوظفُ الشَّاعرُ في هذه الأبيات واقعة(كربلاء) للدلالة على الظلم ومقاومته، بنبرة يعلو فيه الفخر، فالسياق الخارجي تمثل في ذكر المكان (كربلاء) فالمكانُ هو((الحيِّزُ الذي يحتضنُ

عمليات التفاعل بين الأنا والعالم فمن خلاله نتكلم وعبره نرى العالم ونحكم على الآخر))[٤١] .

إلى أن يقول معبرًا عن عقيدتِه وانتمائِه المذهبي [٤٢] :

أنا لستُ شيعيًّا، لأنَّ على فمي ذكر الحسين أُعيدُ فيه وأُطنبُ
ولأنَّ في قلبـــي عُصارةَ لَوعةٍ لأساهُ تَذكُرهـا العيونُ فتسكُبُ
ولأنَّ أمي أرضعتني حبّـــه ولأنه لأبـــي وجدي مَذهَبُ
لكنني أهوى الحسيـــن لأنَّه للسالكينَ طريقُ خَيرٍ أرحـب
وأُحبُّهُ لِعقيدةٍ يَفنى لـــها إن دِيسَ جانبُها ودينٍ يَغْضَبُ
ودمٍ يُريـــقُ لأنَّه يغذو بهِ جُوعَ الضمائرِ إذ تجفُّ فتُجدِب

فهذه القصيدة تتمازُ بالعمقِ العقائدي وهو ما يبينُ مدى نجاح الشاعر في الافصاحِ عن ولائه وقد وصفه أحد النقَّاد بأنَّه ((مفصح مبين في كلا الشأنين، لا يضطرب بين يديه لفظ، ولا يختل نظام صورة، ولا يبعد عن القصد واذا كان من الشعراء من يغلو ويندفع؛ فإنَّ مزيَّة السّيِّد مصطفى جمال الدين القصد والاعتدال وثبات الموقف))[٤٣]، فالنسق الشعري أداة للتعبير عمّا يحمله الشاعرُ من أفكار ورؤى كرَّس حياتَه لخدمتها.

نتائج البحث:

-يمثلُ السِّياقُ ركيزةً أساسيةً في إنتاج المعنى وتوجيه الدلالة، فلا يُنتج النَّصُّ بمعزل عن الظروف المحيطة به، بل يتولَّد من تفاعل اللغة مع محيطها التاريخيّ والاجتماعيّ والثقافيّ والنفسيّ والدِّينيّ .

-السِّياقُ في شعر مصطفى جمال الدِّين، بمستوياته المختلفة(اللغوي، الاجتماعي، والدِّيني، والثقافي يمثلُ عنصرًا بنيويًا في تشكيل الدِّلالة الشِّعريَّة، إذ استطاع أن يخلق نصًا شعريًّا متعدد الأبعاد، يعكسُ فيه همومَ الفرد والمجتمع في آنٍ واحد.

-اتَّضحَ لنا في ضوء دراستنا للسِّياق أنَّ المعنى الشَّعري يتحددُ عبر العلاقة التفاعليَّة بين النَّصِّ ومقامه التداولي، وليس عبر البنية اللغويَّة وحدها.

-اتَّسمَ شعرُه بعمقٍ وجدانيٍ وتجربةٍ إنسانيَّةٍ متأجِّجةٍ، تعكسُ ما في نفسه من صراعات وأشواق وهموم وآمال، فهو دافعٌ داخليٌ يتسللُ إلى مفرداته وصوره وبنيته الإيقاعيَّة ومضامينه التعبيريَّة.

-جَمعَ الشَّاعرُ بينَ الدِّراسةِ الدِّينيَّة والذَّائقةِ الأدبيَّة، مما أنتجَ شخصيَّةً مزدوجةً: الشاعر الفقيه، فلم يكن الدِّين موضوعًا طارئًا في شعره، بل كان جزءًا من وجدانه، إلا أنَّه على الرغم من التزامه الدِّيني، لم يخلُ شعره من موقفٍ نقدي للمؤسَّسة الدِّينيَّة.

-تجلَّى أثرُ السِّياقِ الاجتماعيّ في شعر مصطفى جمال الدِّين بوصفه جوهرًا من صميم تجربته الشعريَّة إذ لم يكن منعزلا عن مجتمعه بل كان شعرُه صورةً ناطقةً عن التَّحديات في القرن العشرين، فقد مزجَ عناصرَ الرُّؤيةَ بالواقع، والرَّمز بالمباشرة ليصوغ شعرًا نابضًا بالوعي الاجتماعيّ.

-لم يُوظِّف الشَّاعرُ شعره في خدمة الحُكَّام ومدح القادة السِّياسيين، بل على العكس من ذلك، فقد سخَّره في نقد الحُكَّام، وهذا ما جعل شعره صوتًا للإنسان والهوية والكرامة.

-في ضوء تحليلنا لقصائد الشَّاعر تبيَّن لنا أنَّ السِّياقَ يُسهمُ إسهامًا مباشرًا في توجيه البنية الأسلوبيَّة للنَّصِّ في ضوء التحكم في اختيار المعجم الشعري، وتشكيل الصُّورة، وتحديد الإيقاع الصَّوتيّ والدِّلاليّ.

-أثبت البحثُ أنَّ فهمَ التَّجربة الشِّعريَّة يظلُّ ناقصًا ما لم تُقرأ نصوصُها ضمن الأطر السِّياقيَّة التي أسهمت في إنتاجها وتشكيل رؤيتها الفنيَّة والفكريَّة.

الهوامش:

(١) يُنظر: شذرات من حياة السيد مصطفى جمال الدين: مهند مصطفى جمال الدين، مجلة سيراء، العدد السادس، منشورات دار اللغة والأدب العربي، مطبعة الوارث، الطبعة الأولى، كربلاء- العراق،٢٠٢٣م : ٩-١٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ٤٦٨/١(ج ل ي).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف: عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (ت ١٠٣١هـ) منشورات عالم الكتب عبد الخالق ثروت – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م : ١/ ٩١. والكُلِّيَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء الكفوي، (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت: ٣٢٠/١.

(٤) ينظر: تفسير القشيري لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري(ت٤٦٥هـ)، تح: نور الدين عايد: ٢٥٩/٢-٢٦١، والتعريفات،علي بن محمد الجرجاني(ت٨١٦هـ)مكتبة لبنان، ١٩٨٥م: ٥٣.

(٥) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: (س و ق).

(٦) يُنظر: لسان العرب:١٦٦/١٠- ١٦٧ (س و ق).

(٧) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، مكتبة الشروق الدولية، ط٤،مصر، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م:(س و ق).

(٨) النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: فان دايك، ترجمة : عبد القادر قنيفي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩١م: ١٧.

(٩) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، منشورات الدار البيضاء ، ١٩٩١م: ٥٦.

(١٠) ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية: دلاش الجيلالي، ترجمة : محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ١٩٨٦: ٤١، ولسانيات النص مدخل إلى انسجام النص: ٢٩٧.

(١١) ينظر: السِّياقُ وأثرُه في تأويليَّة الخِطابِ الشِّعري دراسةٌ في معلقة عمرو بن كلثوم: خديجة ابراهيمي، قسم الآداب واللغة العربية ، جامعة محمد خيضر – بسكرة : ٣.

(١٢) ينظر: علم الدِّلالة: بالمر، ترجمة : عبد المجيد الماشطة بغداد ، العراق، ١٩٨٥م: ١٤١ .

(١٣) م، ن : ١٤١.

(١٤) ينظر: المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب: فاطمة الشيدي، منشورات دار التنوير، دمشق، ٢٠١١م: ٢٢.

(١٥) السياق ودوره في إنتاج الدلالة دراسة في تفسير الشيخ عبد الحميد ابن باديس((أطروحة دكتوراه): عبد الحميد عمروش، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة، الجزائر، ٢٠١٦-٢٠١٧م:٢٠.

(١٦) ينظر: السياقُ والقصديَّة مقاربة تداولية في شعر أبي نؤاس : علي متعب جاسم، حسين عمران محمد ، مجلة ديالى، العدد الثامن والستين، ٢٠١٥م: ٣٣٧.

(١٧) الديوان: مصطفى جمال الدين: منشورات دار المؤرخ العربي – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م: ٢٨٥.

(١٨) السِّياقُ والنص الشَّعري من البنية إلى القراءة : ١٥٠ .

(١٩) الديوان : ٢٩٣.

(٢٠) الديوان : ١٧٣.

(٢١) مقدمة الديوان : ٩٣.

(٢٢) يُنظر: شعر مصطفى جمال الدين دراسة لغويَّة فنيَّة: ٦٩.

(٢٣) الديوان: ٤٧٠.

(٢٤) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي إبراهيم الصالح (ت ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م: ٣١٢.

(٢٥) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، طرابلس، ٢٠٠٤م: ٤٥.

(٢٦) الإشارات السيمائية في الشعر الحسيني شعر مصطفى جمال الدين أنموذجا: شيماء عبد الحسين الحجامي. مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، العدد الثلاثون، ١-٧ ، ٢٠١٨م: ٥٩.

(٢٧) الديوان: ١٥٩.

(٢٨) الديوان: ٥٦٩.

(٢٩) شعر مصطفى جمال الدين دراسة لغوية وفنية: صبَّار شبّوط طلّاع، مجلة آداب البصرة، العدد٤٨،سنة ٢٠٠٩م: ٦٣-٦٤.

(٣٠) الديوان:٢١٥ – ٢١٦.

(٣١) النجف الأشرف في ذاكرة الدكتور السيد مصطفى جمال الدين: حسن عيسى الحكيم، منشورات شبكة الفكر ،١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م : ٣٥.

(٣٢) في قراءة النصوص الأدبية نماذج وتطبيقات: نبيل محمد رشاد، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م : ٨٥.

(٣٣) الديوان : ٢١٧.

(٣٤) معجم علم اللغة النظري:محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م:٢٦١.

(٣٥) الديوان : ١٦٨.

(٣٦) الديوان : ٣٠٣.

(٣٧) الديوان : ٤١١.

(٣٨) الديوان : ٤٠١.

(٣٩) الديوان : ٣٦٨.

(٤٠) الديوان : ٥٠٧.

(٤١) جماليات المكان : غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٩م: ٣٧.

(٤٢) الديوان : ٥٠٧–٥٠٨.

(٤٣) مصطفى جمال الدين الشاعر الفقيه: سعيد عدنان، جريدة طريق الشعب، مقال منشور على شبكة المعلومات بتاريخ ٥تشرين الثاني، ٢٠٢٥م

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

–استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويَّة تداوليَّة، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، طرابلس، ٢٠٠٤م.

–التوقيف على مهمات التعاريف: عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (ت١٠٣١هـ) منشورات عالم الكتب، عبد الخالق ثروت – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

–التعريفات، علي بن محمد الجرجاني(ت٨١٦هـ)، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م.

–تفسير القشيري لطائف الإشارات: عبد الكريم القشيري(ت٤٦٥هـ)، تحقيق: نور الدين عايد.

–جماليات المكان : غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٩م.

–دراسات في فقه اللغة، صبحي إبراهيم الصالح (ت١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م.

–السِّياقُ والنَّص الشِّعري من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، منشورات الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

–علم الدِّلالة: بالمر، ترجمة : عبد المجيد الماشطة بغداد، العراق، ١٩٨٥م.

–في قراءة النصوص الأدبية نماذج وتطبيقات: نبيل محمد رشاد، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

–الكُلِّيَّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، (ت١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

-لسانياتُ النَّص مدخل إلى انسجام النص: محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ١٩٩١م.
-مدخل إلى اللسانيات التداولية: دلاش الجيلالي، ترجمة : محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦.
-المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
-معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
-معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
-المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب: فاطمة الشيدي، منشورات دار التنوير، دمشق، ٢٠١١م.
-النجف الأشرف في ذاكرة الدكتور السيد مصطفى جمال الدين : حسن عيسى الحكيم، منشورات شبكة الفكر ،١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
-النّصُ والسِّياقُ استقصاء البحث في الخطاب الدِّلالي والتَّداولي، ترجمة: عبد القاهر قنيفي، منشورات الدار البيضاء، ١٩٩١م.

الرسائل والأطاريح

-السِّياقُ ودورُه في إنتاج الدلالة دراسة في تفسير الشيخ عبد الحميد ابن باديس(أطروحة دكتوراه): عبد الحميد عمروش، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة، الجزائر ٢٠١٦-٢٠١٧م.

البحوث والمجلات

-الإشارات السيمائية في الشعر الحسيني شعر مصطفى جمال الدين أنموذجا، شيماء عبد الحسين الحجامي، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الثلاثون، ١-٧ ، ٢٠١٨م.
-السياق والقصدية مقاربة تداولية في شعر أبي نؤاس، علي متعب جاسم، حسين عمران محمد ، مجلة ديالى، العدد الثامن والستين، ٢٠١٥م .
-شذرات من حياة السيد مصطفى جمال الدين، مهند مصطفى جمال الدين، مجلة سيراء، العدد السادس، منشورات دار اللغة والأدب العربي، مطبعة الوارث، الطبعة الأولى، كربلاء- العراق،٢٠٢٣م .
-شعر مصطفى جمال الدين دراسة لغويَّة وفنيَّة: صبَّار شبّوط طلّاع، مجلة آداب البصرة، العدد٤٨،سنة ٢٠٠٩م.
-في النقد اللغوي النص والسياق، روجر فاولر، ترجمة : عبد النبي اصطيف، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مجلة الموقف الأدبي، مجلد ١٧، ع٢٠٤، ١٩٨٨م.

شبكة الانترنت

-مصطفى جمال الدين الشاعر الفقيه، سعيد عدنان، جريدة طريق الشعب، مقال منشور على شبكة المعلومات بتاريخ ٥تشرين الثاني، ٢٠٢٥م

List of Sources and References

•The Holy Quran

-Discourse Strategies: A Pragmatic Linguistic Approach, Abdulhadi bin Dhafer Al-Shahri, Dar Al-Kitab Al-Jadeeda Al-Muttahida, First Edition, Tripoli, 2004.

-Al-Tawqif 'ala Muhimmat Al-Ta'arif: Abdul Raouf bin Taj Al-'Arifin Al-Manawi (d. 1031 AH), Alam Al-Kutub Publications, Abdul Khaliq Tharwat – Cairo, First Edition, 1410 AH/1990 CE.

-Al-Ta'rifat: Ali bin Muhammad Al-Jurjani (d. 816 AH), Library of Lebanon, 1985 CE.

-Al-Qushayri's Interpretation of Subtle Indications: Abdul Karim Al-Qushayri (d. 465 AH), edited by Nour Al-Din Ayed.

-The Poetics of Space: Gaston Bachelard, translated by Ghalib Halsa, Ministry of Culture and Information, Baghdad, 1989 CE. - Studies in Linguistics, Subhi Ibrahim al-Salih (d. 1407 AH), Dar al-Ilm lil-Malayin, First Edition, 1379 AH - 1960 CE.

-Context and Poetic Text: From Structure to Reading, Ali Ait Oushan, Casablanca Publications, Morocco, First Edition, 2000 CE.

-Semantics: Palmer, translated by Abdul Majid al-Mashta, Baghdad, Iraq, 1985 CE.

-On Reading Literary Texts: Models and Applications, Nabil Muhammad Rashad, Maktabat al-Adab, Cairo, First Edition, 1434 AH - 2013 CE.

-Al-Kulliyat: A Dictionary of Terms and Linguistic Distinctions, Abu al-Baqa' al-Kafawi (d. 1094 AH), edited by Adnan Darwish and Muhammad al-Masri, Al-Risalah Foundation, Beirut.

-Text Linguistics: An Introduction to Text Coherence, Muhammad Khattabi, Arab Cultural Center, First Edition, Casablanca, 1991 CE. - An Introduction to Pragmatics: Dalash al-Jilali, translated by Muhammad Yahyaten, University Publications Office, Algeria, 1986.

-The Etymological Dictionary of the Words of the Holy Qur'an: Muhammad Hassan Hassan Jabal, Library of Arts, Cairo, First Edition, 2010.

-A Dictionary of Theoretical Linguistics: Muhammad Ali al-Khouli, Library of Lebanon, Beirut, First Edition, 1982.

-A Dictionary of Language Standards: Ahmad ibn Faris (d. 395 AH), edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, 1399 AH - 1979 CE.

-Meaning Outside the Text: The Impact of Context on Determining the Meanings of Discourse: Fatima al-Shaidi, Dar al-Tanwir Publications, Damascus, 2011.

-Najaf al-Ashraf in the Memory of Dr. Sayyid Mustafa Jamal al-Din: Hassan Issa al-Hakim, Al-Fikr Network Publications, 1424 AH - 2003 CE. -Text and Context: An Investigation into Semantic and Pragmatic Discourse, translated by Abdul Qahir Qunaifi, Casablanca Publications, 1991.

Theses and Dissertations

-Context and its Role in Producing Meaning: A Study in the Interpretation of Sheikh Abdul Hamid Ibn Badis (PhD dissertation): Abdul Hamid Amroush, Faculty of Arabic Language, Literature, and Arts, University of Batna, Algeria, 2016-2017.

Research and Journals

-Semiotic Signs in Husseini Poetry: The Poetry of Mustafa Jamal al-Din as a Model, Shaima Abdul Hussein al-Hajami, Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences, Issue 30, pp. 1-7, 2018.

-Context and Intentionality: A Pragmatic Approach to the Poetry of Abu Nuwas, Ali Mutab Jassim and Hussein Imran Muhammad, Diyala Journal, Issue 68, 2015. -Excerpts from the Life of Sayyid Mustafa Jamal al-Din, by Muhannad Mustafa Jamal al-Din, Sira' Magazine, Issue 6, Dar al-Lughah wa al-Adab al-Arabi Publications, Al-Warith Press, First Edition, Karbala, Iraq, 2023.

-The Poetry of Mustafa Jamal al-Din: A Linguistic and Artistic Study, by Sabbar Shabbout Talla', Adab al-Basrah Magazine, Issue 48, 2009.

-On Linguistic Criticism: Text and Context, by Roger Fowler, translated by Abd al-Nabi Istif, Arab Writers Union Publications, Al-Mawqif al-Adabi Magazine, Volume 17, No. 204, 1988.

-Mustafa Jamal al-Din: The Poet and Jurist, by Saeed Adnan, Tariq al-Sha'ab Newspaper, an article published online on November 5, 2025.